ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Hussein Abdul Ali Ghailan Al-Rubaie

General Directorate of Education in Maysan

Email: husseinalrubaiey2@gmail.com

Keywords:

Yugoslav Federation, independence, Civil war, United Nations, NATO

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 20. Feb.2026

Accepted 14. Apr.2026

Published 10. Aug.2026

The Yugoslav Federation and the stages of its collapse 1989-2008

A B S T R A C T

The study examined the collapse of the Yugoslav Federation, its stages, and the trajectory of its disintegration from 1989 through 2008; the disintegration and fragmentation of the Yugoslav Federation and its transformation into independent republics was one of the most significant and complex historical events the world witnessed after the end of the Cold War, and the end of the socialist bloc's active role, as well as Yugoslavia's loss of significance within the Non-Aligned Movement—which had played a vital and active role during the period when the world was divided into two rival blocs. This process spanned the last decade of the twentieth century and most of the first decade of the twenty-first century, and went through numerous stages and obstacles, some of which took a democratic path accompanied by many armed conflicts and acts of violence; all in the pursuit of independence across the republics and regions of Yugoslavia, which escalated into civil wars among the constituent parts of the Yugoslav Federation, claiming many victims among the population—including those killed, disabled, and missing—not to mention forced displacement, the destruction of the country's infrastructure, and the deterioration of the economic situation.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol64.Iss1.5134

الاتحاد اليوغوسلافي ومراحل انهياره ١٩٨٩-٢٠٠٨

م.د. حسين عبد علي غيلان الربيعي

المديرية العامة للتربية في ميسان

المستخلص

ناقشت الدراسة عملية انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ومراحله ومسارات تفككه منذ عام ١٩٨٩، حتى عام ٢٠٠٨؛ إذ أن عملية تفكك وتجزئة الاتحاد اليوغوسلافي وتحوله إلى جمهوريات مستقلة كانت من أهم واعقد الأحداث التاريخية التي شهدها العالم بعد انتهاء الحرب الباردة، وانتهاء الأثر الفاعل للمعسكر الاشتراكي، وفقدان يوغوسلافيا لأهميتها في دول عدم الانحياز، التي أدت دور مهم وفاعل خلال مدة انقسام العالم إلى معسكرين متنافسين، وامتدت تلك العملية طيلة العقد

الأخير من القرن العشرين وغالبية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ومرت بمراحل وعقبات عديدة، اتخذ بعضها المسار الديمقراطي الذي رافقه العديد من النزاعات المسلحة والعنف؛ من أجل الحصول على الاستقلال في عموم جمهوريات وأقاليم يوغوسلافيا، التي تحولت إلى حروب أهلية بين مكونات الاتحاد اليوغوسلافي، وراح ضحيتها الكثير من السكان بين قتيل ومعاق ومفقود، فضلاً عن حدوث عمليات التهجير القسري، وتدمير البنى التحتية للبلاد، وتدهور الوضع الاقتصادي، حتى وصل الأمر لتدخل حلف شمال الأطلسي والدول الغربية في تلك الحروب، وفرض الإرادة الدولية بواسطة منظمة الأمم المتحدة؛ لإنهاء ذلك الصراع الدموي الذي شمل أغلب مناطق الاتحاد اليوغوسلافي.

الكلمات المفتاحية: الاتحاد اليوغوسلافي ، الاستقلال ، الحرب الأهلية ، الأمم المتحدة، حلف شمال الأطلسي.

المقدمة

عدت عملية انهيار الاتحاد اليوغوسلافي وتفككه التي امتدت طيلة المدة من عام ١٩٨٩، حتى عام ٢٠٠٨، من أهم واعقد الأحداث في العالم؛ إذ استمرت قرابة عقدين من الزمن، وجرت أحداثاً في ظروف غاية في الصعوبة على مختلف الصعد، خلال العقد الأخير من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بعد أن اتضحت معالم المشهد العالمي والإقليمي والمحلي للنخب السياسية في جميع الجمهوريات والأقاليم المكونة للاتحاد اليوغوسلافي، بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، وغياب تأثير الكتلة الاشتراكية وحلف وارسو عند انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١، والانتفاء لدور حركة عدم الانحياز، فضلاً عن محاولة الجمهوريات والأقاليم المكونة للاتحاد اليوغوسلافي الحصول على الاستقلال، وجعل كل كيان منها جمهورية قائمة بحد ذاتها بعيداً عن قيود الاتحاد اليوغوسلافي، واختيار المسارات الوطنية المناسبة، وتنظيم كل ما له صلة في كل جمهورية منها في الميادين كافة، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية على المستويين الداخلي والخارجي وعلاقتها الدولية وغيرها.

بدأت عملية الانهيار اليوغوسلافي بسبب العديد من العوامل والمشاكل الضاغطة التي مر بها الاتحاد اليوغوسلافي في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، والتي انعكست بدورها في مجريات الأحداث خلال التسعينيات من القرن نفسه، ومن ثم أدت إلى بداية وقوع عملية الانهيار والتفكك لجمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية، واتسعت أطرها بعد محاولة كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد اليوغوسلافي بالعمل على حصولها على الاستقلال، والخلاص من قيود الاتحاد وسياساته التي فرضتها عليه الإدارة الصربية المهيمنة على مقدراته، التي رفضت جميع تلك المحاولات، لذلك تحولت عملية المطالبة بالاستقلال إلى حروب أهلية، استمرت بين المركز الذي مثلته صربيا وقيادتها السياسية، وبين جميع الإدارات المختارة في الجمهوريات والأقاليم المكونة للاتحاد اليوغوسلافي، ومرت بمراحل عديدة ومسارات مختلفة.

إن الأهمية الجيوسياسية التي تمتع بها الاتحاد اليوغوسلافي، فضلاً عن الأهمية لكل واحدة من الجمهوريات المكونة له، فرضت على الرأي العام الدولي اتخاذ مواقف حاسمة تجاه ما حصل في تلك المنطقة من العالم، بعد أن وصل حد الانتهاكات الإنسانية مراحل لا يمكن السكوت عنها هذا من جانب، ومن جانب أخر تم التركيز على تأثيرها المباشر على مناطق شرق أوروبا، لذلك تدخلت القوى الغربية متمثلة بحلف شمال الأطلسي، الذي اضطر إلى استخدم القوة في ردع عمليات الانتهاكات الإنسانية والفظائع التي أركبت بحق السكان المدنيين، ووصل الأمر في نهاية المطاف إلى تدخل منظمة الأمم المتحدة؛ من أجل السيطرة على الأحداث، وفرض القانون الدولي والإنساني، وفض جميع النزاعات المسلحة، والعمل على استتباب الأمن والاستقرار في تلك المنطقة من العالم.

جاءت أهمية الدراسة من أجل فهم أحد أهم الأحداث التاريخية التي وقعت بعد انتهاء الحرب الباردة في تلك المنطقة، وما شهده العالم في ذلك الوقت، فضلاً عن الوقوف على مراحل عملية الانهيار اليوغوسلافي وأسبابه، والطرق المتبعة في ذلك الانهيار، ومعرفة أثر التوجهات السياسية لكل طرف، ودور الأبعاد القومية والعرقية والدينية، والخلفية التاريخية لكل

طرف، وفهم مجريات الأحداث خلال تلك المدة، والاطلاع على الدور الذي أدته منظمة الأمم المتحدة في حل تلك النزاعات الدموية، والتوصل إلى الحقيقة التاريخية التي أدت بالاتحاد اليوغوسلافي إلى التفكك والانهيار، لذلك جاء عنوان الدراسة: **(الاتحاد اليوغوسلافي ومراحل انهياره ١٩٨٩-٢٠٠٨)**، وتكونت الدراسة من ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول بعنوان: **(الاتحاد اليوغوسلافي حتى بداية انهياره عام ١٩٨٩)**، إما المبحث الثاني فحمل عنوان: **(عوامل انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ١٩٨٩-١٩٩٠)**، وكان عنوان المبحث الثالث: **(مراحل انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ومساراته ١٩٨٩-٢٠٠٨)**.

مشكلة الدراسة: جاءت مشكلة الدراسة بصياغة عدد من الأسئلة التي وضعت لخدمة الدراسة في تحقيق أهدافها، وبما أن عملية انهيار الاتحاد اليوغوسلافي استمرت قرابة عقدين من الزمن، فضلاً عن تشابك أحداثها واختلاف مراحلها ومساراتها والجهات الفاعلة فيها، تم وضع الأسئلة البحثية التالية: ما الأسباب التي أدت لعملية انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ؟ ما تأثير الأحداث العالمية آنذاك في عملية الانهيار اليوغوسلافي ؟ ما المراحل التي مر بها انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ؟ ما الوظيفة التي اتخذها حلف شمال الأطلسي ومنظمة الأمم المتحدة في الانهيار اليوغوسلافي ؟ وغيرها من التساؤلات الأخرى.

فرضية الدراسة: أدى انهيار الكتلة الشيوعية وتراجع الأيديولوجيا القائمة عليها، وفقدان الشخصية القيادية اليوغوسلافية، فضلاً عن التدهور الاقتصادي، وبروز النزعة القومية الانفصالية، وفشل التماسك الفيدرالي، وتراكم الأزمات على الصعد كافة، إلى التفكك العنيف الذي تميز بحروب دموية داخلية حولت الاتحاد اليوغوسلافي إلى دويلات متناحرة، وفسحت المجال للتدخلات الدولية، استمرت مراحله قرابة عقدين من الزمن انتهت باستقلال كوسوفو عام ٢٠٠٨.

منهجية الدراسة: اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي، في التركيز على وحدة الموضوع، واتباع التسلسل الزمني للأحداث، فضلاً عن منهج البحث التحليلي في العديد من الجوانب.

المبحث الأول: الاتحاد اليوغوسلافي حتى بداية انهياره عام ١٩٨٩

تأسست مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين-السلاف الجنوبيين- في الأول من كانون الأول ١٩١٨، وتطورت كدولة مركزية ضمت شعوب مختلفة الثقافات والعرقيات والأديان والقوميات، وتميز سكانها بلغتهم الأم ودينهم. (Obradović,2018,p.1185).

أدت الوحدة الوطنية للسلاف الجنوبيين إلى إنشاء دولتهم ووضع أسسها في دستور عام ١٩٢١، وأثار الشكل الوحدوي للدولة وتنظيمها الإقليمي سخط النخب السياسية الكرواتية، وفضله السياسيين الصرب، الذين ناقشوا وأيدوا إنشاء هيكل معقد أكثر تطوراً للدولة، واقترحوا الفيدرالية التي من شأنها استيعاب الاختلافات التقليدية الموجودة بين الأجزاء المكونة للبلاد (POPOVIĆ,2020,p.258).

اتضح في أول تعداد سكاني للدولة في عام ١٩٢١، أن أكبر الأقليات هي الألمانية، والمجرية، والألبانية، والغجرية، والتركية والتشيكية والسلوفاكية، على التوالي، وكان تطبيق الأحكام الدولية والمحلية المتعلقة بالأقليات معتمد على نوعية العلاقات الدولية بين المملكة والبلدان المعنية، وكانت الاتفاقيات الثنائية والعلاقات الجيدة بين الدول شرطاً لتحسين وضع الأقلية، وأنعكس ذلك في الوضع المميز الذي تمتعت به الأقلية الإيطالية بين الأقليات الأخرى في المملكة، على الرغم من صغرها، وتميزت أيضاً الأقلية الرومانية؛ نتيجة للعلاقات الثنائية الجيدة بين المملكتين كحليفين بعد حل قضية الحدود مع رومانيا عام ١٩٢٣، وتم ضمان الوضع الإيجابي للتشيك والسلوفاك في المملكة من خلال علاقاتها الجيدة مع تشيكوسلوفاكيا، وفي حالة الأقلية الألمانية التي كانت الأكثر عدداً فإن موقفها تبع تزايد قوة ونفوذ ألمانيا في جنوب شرق

أوروبا وجهود المملكة لتطوير علاقتها مع ألمانيا، كما اعترفت الدولة بالأقلية المجرية، رغم أن العلاقات بين المملكة والمجر لم تكن جيدة؛ بسبب مطالبة المجر لمراجعة معاهدة تريانون(Trianon) الموقعة عام ١٩٢٠، إما الأقليات الأخرى مثل الألبانية والتركية والبلغارية، على الرغم من غالبيتها لم يتم الاعتراف بها، ولم تتح لها فرصة للحفاظ على سماتها، لذلك انتقل الآلاف من الأقلية التركية إلى تركيا منذ عام ١٩٢٧،(Obradović,2018,p.1185–1187).

واجه تنفيذ دستور ١٩٢١، أحداثاً مضطربة وظهرت بوادر الخلافات بين مكونات شعوب المملكة؛ بسبب التباين في المواقف الحكومية تجاه الأقليات المختلفة، وفيما بعد ساد الاعتقاد باختفاء الخلافات في الدولة الجديدة التي أعيدت تسميتها في عام ١٩٢٩، باسم مملكة يوغوسلافيا(Asaturov, & Martynov,2020,p.40)، وعلق الدستور من قبل ملك يوغوسلافيا ألكسندر الأول(Alexander I)، وأصدر دستوراً جديداً في عام ١٩٣١، حافظ على الشكل الوحدوي للحكومة، لكنه غيّر التنظيم الإقليمي للبلاد؛ بإدخال عدد أقل من الوحدات الإقليمية الأكبر(POPOVIĆ,2020,p.259)، وانعكست علاقة مملكة يوغوسلافيا تجاه أقلياتها بشكل واضح في الدستور الجديد الذي لم يتضمن أي أحكام بشأن حماية الأقليات، فضلاً عن التعداد السكاني، الذي جرى في ٣١ مارس ١٩٣١، لم يحتوي على بيانات عن اللغة الأم، وأكتفى فقط بالدين(Obradović,2018,p.1185).

اغتيل الملك اليوغوسلافي عام ١٩٣٤، وتم وضع وريث العرش بيتر الثاني(Peter II)، تحت الوصاية؛ لأنه كان قاصراً، ووافقت النخب السياسية الصربية والكرواتية على السير في طريق الفيدرالية وإطلاق تسوية سياسية جديدة، بناءً على اتفاقهم، ولكن فات الأوان لإجراء إصلاحات دستورية مناسبة (POPOVIĆ,2020,p.259).

تعرضت مملكة يوغوسلافيا للاحتلال من قبل ألمانيا النازية وحلفائها خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥، (Magaš,1993,p.114)، وفي نيسان ١٩٤١، هزمت المملكة في حرب قصيرة ومزقتها قوى المحور.
(POPOVIĆ,2020,p.259)، وتم حكم كرواتيا لمدة من الوقت كدولة عميلة نازية منفصلة، وقاوم اليوغوسلافيون النازيين بقوة، لكنهم خاضوا حرباً أهلية مريرة؛ فيما بين الملكيين والشوعيين بقيادة المارشال جوزيب بروز تيتو(Josip Broz Tito)،(Magaš,1993,p.114).

تمت استعادة يوغوسلافيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإنهاء النظام الملكي، وقدم النظام الجمهوري، الذي وضع على مفهوم الفيدرالية(POPOVIĆ,2020,p.259)، والإعلان في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٥، عن جمهورية يوغوسلافيا الشعبية الاتحادية، وظهور نظام جديد في البلاد، وتم تطوير النظام السياسي ليوغوسلافيا على مبادئ المساواة والأخوة والوحدة بين الأمم والجنسيات في البلاد، ونظم ذلك من خلال القوانين الداخلية للدولة في دستور عام ١٩٤٦، بالإضافة إلى الأحكام الخاصة المتعلقة بوضع الأقليات القومية المتضمن الأحكام التي جعلت للأقليات حقوقاً متساوية في الاقتصاد والسياسة والجيش والتعليم وغيرها، بغض النظر عن الانتماء ومكان الإقامة(Obradović,2018,p.1187).

ظهرت البلاد في ظل نظام شيوعي، برئاسة تيتو، مكونة من ست جمهوريات صربيا وكرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك والجبل الأسود ومقدونيا، ومقاطعتان هما فويفودينا وكوسوفو، وسمح لتلك الجمهوريات والمقاطعات بأشكال مختلفة من الحكم الذاتي، وتم الاعتراف بمسلمي البوسنة والهرسك كمجموعة وطنية متميزة على قدم المساواة مع صرب البوسنة وكروات البوسنة؛ لأن المسلمين أكبر مجموعة قومية موحدة سيطرت على الحكومة (Magaš,1993,p.114).

أصبحت يوغوسلافيا اتحاداً اجتماعياً وسياسياً معقداً له هوية اكثر تعقيداً، وبعد عام ١٩٤٨، انفصلت عن الاتحاد السوفييتي، وفي ذروة الحرب الباردة في أواخر الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، ومع إعادة التموضع السريع في الساحة السياسية العالمية، استخدمت يوغوسلافيا استراتيجيات وقنوات مختلفة لتوصيل صورتها الجديدة سواء في الداخل أو الخارج، وواجهت قضايا معقدة للغاية في العلاقات الدولية، في أعقاب الانقسام بين تيتو وجوزيف ستالين (Joseph Stalin)، ومناورات البلاد اللاحقة في الحرب الباردة المتصاعدة التي أدت بحلول بداية الستينيات من القرن

العشرين إلى صياغة محددة لسياسة خارجية مستقلة، واتخاذها سياسة عدم الانحياز، وقيام يوغوسلافيا ببناء صورتها وتمثيلها تجاه البلدان الأخرى، وحاولت تأكيد استقلالها الرمزي بإيديولوجية ثقافية وحضارية، في خضم حرب باردة متوترة بين القوى العظمى المتنافسة وحلفائها المدججين بالسلاح(Radović, 2017,p.17-19).

فيما تعلق بأسس النظام الاجتماعي والسياسي ليوغوسلافيا، لم يتضمن القانون الدستوري لعام ١٩٥٣، حلولاً جديدة للأقليات ولكن في السنوات التي تلت ذلك أتيحت الفرصة للأقليات لتطوير سماتها المميزة في جميع المجالات والحفاظ عليها، وتم تمثيل الأشخاص المنتمين إلى الأقليات في هيئات السلطة، كما أدخل دستور عام ١٩٦٣، مصطلح القوميات لمجتمعات الأقليات بدلاً من مصطلح الأقليات القومية، وتغير اسم الدولة إلى جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية، وتضمن الدستور عدداً كبيراً من الأحكام ذات الصلة بالأقليات، وضمنت المساواة بين أفراد القوميات، وأدخل دستور يوغوسلافيا لعام ١٩٧٤، المزيد من التحسينات في تأكيد حقوق القوميات وتزويدهم بقد أكبر من المساواة، وعدهم مجتمعات اجتماعية وسياسية أساسية مارست حقوق القوميات بشكل جماعي، واستند منصب ومسؤوليات وتكوين هيئات الاتحاد على مبدأ التمثيل المتساوي للجمهوريات، والتمثيل المناسب للمقاطعات المتمتعة بالحكم الذاتي، وتضمن ذلك في الحكم المتعلق بالإدارة والمناصب العليا والجيش اليوغوسلافي(Obradović,2018,p.1188-1189).

ظهرت الحركات الانفصالية في يوغوسلافيا بعد وفاة تيتو، في ٤ أيار ١٩٨٠، وعانى خلفاؤه من مشاكل عديدة وتطبيقهم الرئاسة الدورية، وعندما برزت التغيرات الثورية في وسط وشرق أوروبا في أواخر الثمانينيات، خفف النظام اليوغوسلافي قبضته وتفجرت الضغوط الانفصالية(Asaturov, & Martynov,2020,p.40)، وبرزت الحركات القومية في المشهد السياسي، واندلع الصراع في البداية على السلطة داخل الحزب الشيوعي اليوغوسلافي؛ حول إرث تيتو، واستغل السياسيون الشيوعيون المشاعر العرقية، مما سمح لهم تنظيم الولاء بأجندة عرقية، وكان سلوبودان ميلوسيفيتش (Slobodan Milošević)، قادراً على تحفيز الحركات الجماهيرية في الجبل الأسود وفويفودينا، وأثارت العناصر الأساسية لاستراتيجية التحيزات القومية، ومحاولات فرض الهيمنة الصربية بين الجمهوريات الفيدرالية، واستمرت الصراعات على السلطة في نهاية الثمانينيات داخل الحزب الشيوعي اليوغوسلافي(NEUMANN,2013,p.223).

اكتسبت الحركات القومية شعبية داخل الجمهوريات المكونة لها في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، وكان الدافع وراء ذلك جزئياً هو المشاكل الاقتصادية، وعدم الاستقرار السياسي، وظهور السياسيين الانتهازيين، وكانت الشخصية الأبرز هو سلوبودان ميلوسيفيتش الذي وصل إلى السلطة في صربيا من خلال استغلال المشاعر القومية وتأجيج التوترات العرقية، وأدت خطاباته وسياساته العدوانية إلى تفاقم الانقسامات التي كانت موجودة بالفعل داخل الاتحاد، وحفزت الحركات القومية في الجمهوريات الأخرى، مما أدى إلى مزيد من تآكل الوحدة الهشة التي تمتعت فيها يوغوسلافيا، خلال مدة وجوده في منصب رئيس الاتحاد اليوغوسلافي(Jovanović,2023,p.230).

كانت يوغوسلافيا جمهورية فيدرالية متعددة القوميات تألفت من ست جمهوريات، وتم رسم اراضي الجمهوريات على طول الخطوط الحدودية المحددة تاريخياً، وخلال حروب التسعينيات انهارت يوغوسلافيا على طول خطوط الحدود، وما ميز تلك الحالة هو حقيقة الجهات السياسية الفاعلة، والمواطنين المتورطين في تصعيد الصراع.
(NEUMANN,2013,p.222).

إن ما قرب من سبعة عقود من العيش معاً تحت نفس السيادة لأحد النظامين اليوغوسلافيين لم تكن كافية للتغلب على عدم تجانس السكان والمشاعر الخاصة للمجموعات العرقية المختلفة، ولم تكن اليوغوسلافية هوية وطنية؛ بل كانت أيديولوجية سياسية ومشروع دولة(POPOVIĆ,2020,p.259).

المبحث الثاني: عوامل انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ١٩٨٩-١٩٩٠

إن عوامل الانهيار اليوغوسلافي عديدة ومتنوعة، كان في مقدمتها فقدان سلطة نظام تيتو، وتدهور الوضع الاقتصادي، والسمات الشيوعية اليوغوسلافية، ومشاكل القومية التي ساهمت في تدمير المجتمع اليوغوسلافي متعدد الثقافات، وتعقيدات عملية تشكيل الهوية الأوروبية الحديثة والهوية التاريخية لشعوب البلقان، والتأثر بمجريات الأحداث في البلدان المجاورة وغيرها، التي تسببت في الحروب الدموية اليوغوسلافية(Magaš,1993,p.114)، التي أصبح من الصعب التعامل معها، وجعلت يوغوسلافيا كيان سياسي واجه جميع المشتركون فيه تحديات مماثلة، فضلاً عن مشاكل جميع دول حلف وارسو تقريباً، ومع ذلك فإن عدداً من المعايير المحلية والدولية الرئيسة قللت من الاختلافات ووفرت أرضية مشتركة معينة للتصورات الأمنية لجميع تلك الدول، بعد أن تغير الوضع بطريقة جذرية، منذ عام ١٩٨٩، واختفت جميع المصادر الرئيسة للقواسم المشتركة، وبدأت الدول الشيوعية بالابتعاد عن المصلحة المشتركة في حماية الأصول المحلية للاشتراكية الواقعية، مثل الأحادية الإيديولوجية، والغلبة السياسية للتسميات القائمة على الحزب، ورفض الملكية الخاصة والآليات الاقتصادية غير السوقية، ولكونهم فاعلين إقليميين ودوليين، تحرروا من العمل تحت سيطرة الأخ الأكبر، بعد أن كان الاتحاد السوفييتي الطرف العسكري الأكثر أهمية في المنطقة، وعلى مستوى النظام الدولي (Baranovsky,n. d,p.7).

بدأ نظام تيتو أو ما أطلق عليه الأخوة والوحدة، أواخر الثمانينيات في الانهيار بسرعة، وكافحت يوغوسلافيا في ذلك الوقت من أجل اللامركزية وتجزئة الأراضي القومية العرقية، وساعد ذلك الشيوعيين الوطنيين في الجمهوريات الست على الوصول إلى مناصبهم، وأصبح ميلوسيفيتش ممثلاً للقومية الصربية، وعمل مع النخب السياسية الصربية في زيادة المركزية في الاتحاد وداخل صربيا؛ حيث تمكنوا من الحد بشكل كبير من الحكم الذاتي لمقاطعتي، فويفودينا وكوسوفو (UHER, & IRA,2019,p.28-29).

خلقت أزمة الميزانية الناجمة عن الفشل الاقتصادي الذي مهد الطريق جزئياً لانفصال كرواتيا وسلوفينيا رسمياً، وأدت تخفيضات الميزانية التي تطلبت إعادة توجيه الإيرادات الفيدرالية نحو خدمة الديون، إلى تعليق مدفوعات التحويل من بلغراد إلى حكومات الجمهوريات والمقاطعات المتمتعة بالحكم الذاتي، ما أدى إلى تأجيج عملية الانفصال، ورفضت حكومة صربيا برنامج التقشف العسكري، الذي فعل بشكل مباشر احتجاج العمال الصرب ضد الحكومة الفيدرالية، وكانت الحركة النقابية متحدة في ذلك النضال، وتجاوزت الخطوط العرقية، واحتشد الصرب والكروات والبوسنيون والسلوفينيون جنباً إلى جنب مع زملائهم العمال(Chossudovsky,2016,p.3).

وقع الصراع بين النخب الشيوعية في مختلف الجمهوريات، وهو ما جسد فشل سياسة التنمية داخل يوغوسلافيا، واتهمت الجمهوريات الأكثر ثراءً الجمهوريات الأكثر فقراً بإهدار الأموال التي حولت إليها، في حين اتهمت الجمهوريات الأكثر فقراً الجمهوريات الأكثر ثراءً باستغلال موادها الخام الرخيصة(Bombelles,1991,p.460)، ودار الصراع بشكل رئيس بين ليوبليانا وبلغراد، وطالب الشيوعيون السلوفينيون علناً إنهاء نظام الحزب الواحد، وإدخال نظام قائم على السوق، وعد الحزب الشيوعي الصربي ذلك بمثابة خيانة للاشتراكية، فضلاً عن انتقاد سلوفينيا علناً لسياسة ميلوسيفيتش في كوسوفو، أما الآخرون، وخاصة الشيوعيون الكرواتيون، ظلوا صامتين، وأطاحت المعارضة القومية بهم، بما في ذلك قادة من داخل صفوفهم، وتم طرد زعماء كرواتيا(Fend, n. d.,p.30-31).

ساهم التمايز العرقي والديني في انهيار يوغوسلافيا؛ إذ تشكل الهيكل الوطني لسكان البلاد من خلال تطورات تاريخية معقدة، وتأثر بالعديد من العوامل الخارجية والداخلية التي تفاوتت حدتها مع مرور الوقت، وأنعكس الانتماء العرقي والديني والطائفي في هوية السكان، ونتج عنه بنية سكانية متنوعة للغاية ومؤثرة في يوغوسلافيا التي كانت أكثر أهمية من الاختلافات الوطنية، وتجلى الدين كظاهرة اجتماعية وثقافية معقدة انعكست في هوية السكان، وكان الانتماء إلى عقيدة

الروم الكاثوليك والأرثوذكس هو السائد في يوغوسلافيا آنذاك، وتجسدت العلاقات بين هاتين الديانتين في العلاقات بين الشعبين الكرواتي والصربي الذين عاشوا معاً، وكان التنوع الديني على وجه التحديد أساس العداء المتبادل بين السلاف الجنوبيين، وأدى إلى تعميق الميول الوطنية في المنطقة(UHER, & IRA,2019,p.25-26).

إن الحروب اليوغوسلافية كانت في الغالب نتيجة لصعود الحركات القومية المتضاربة، وكانت العرقية حاضرة دائماً في الاتحاد اليوغوسلافي لكنها ظلت تحت السيطرة أثناء وجود تيتو في السلطة، وبعد وفاته عام ١٩٨٠، لم يكن هناك إطار للحل، وأصبحت الصراعات العرقية العابرة للحدود الوطنية أحداثاً يومية، وبرزت التغيرات بين الأعراق، وأدى تصاعد العداء بين صربيا والجمهوريات الأخرى إلى تأجيج الانقسام العرقي، وأصبح اختلال توازن القوى المتفاقم بين جميع الأطراف نقطة محورية في حروب يوغوسلافيا، ومثّل التأكيد الإسلامي في البوسنة والهرسك تغييرات ديموغرافية أثّرت على التوازن العرقي، وزادت من زعزعة استقرار الوضع الاجتماعي، والتركيبة المتغيرة للجمهوريات، ودلت على انهيار المجتمع التقليدي، وأصبحت تلك التغيرات المجتمعية حافزاً للصراعات العرقية، فضلاً عن الخطاب القومي الذي تبناه سلوبودان ميلوسيفيتش الذي شكل مؤشراً قوياً على الهوية كأساس للقومية، وكان ميلوسيفيتش معروفاً بحملاته الدعائية التي ركزت على الظلم ضد الصرب وصورتهم على أنهم ضحايا لبقية يوغوسلافيا، وأن أفكار القومية الصربية والثقافة التقليدية التي دافع عنها ميلوسيفيتش نظر إليها شعبياً على أنها السبب الأكبر للحروب اليوغوسلافية، وأن استخدامه الخطاب الشعبوي والقومي بمثابة دليل على الكيفية التي أدت بها بناء الهوية إلى الصراع، ويمكن رؤية ذلك في كيف غذت القومية الصربية بشكل مباشر العدوان الصربي المسلح(Ginieczki,2020,p.22-23).

كانت الحروب التي صاحبت الانهيار اليوغوسلافي هي الأكثر دموية في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وبعد حصول الجمهوريات المكونة ليوغوسلافيا على الحكم الذاتي تمتعت كوسوفو وفويفودينا اللتان كانتا جزءاً من صربيا باستقلال سياسي واسع النطاق، منذ دستور عام ١٩٧٤، بما في ذلك التمثيل في البرلمان اليوغوسلافي، وفي عام ١٩٨٩، فقد إقليم كوسوفو الحكم الذاتي وتوتر الوضع فيه للغاية، وساهم ذلك في انهيار يوغوسلافيا وحروب الخلافة اليوغوسلافية، وتزايد القومية الصربية وتوطيد السلطة للرئيس الصربي ميلوسيفيتش(Dyrstad,2012,p.820).

اكتسب ميلوسيفيتش مكانة بارزة داخل الحزب الشيوعي، وعمل على حشد حملة انتقدت النموذج الفيدرالي الموجود في دستور البلاد، مؤكداً على الأغلبية، ووجوب تمتع صربيا بسلطة أكبر في اتخاذ القرار على الاتحاد بأكمله، وبدأ بحملة شرسة لضم مقاطعتي كوسوفو وفويفودينا إلى صربيا، كما أرجع المشاكل الاقتصادية إلى النموذج الدستوري، ودافع عن مركزية السلطة في بلغراد كحل للأزمة، وأثارت حملته المتطرفة انتقادات في سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك، ومع ذلك تم انتخابه رئيساً ليوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية، وفي عامه الأول كرئيس قام بدمج كوسوفو وفويفودينا في صربيا عام ١٩٨٩، وكان ضم كوسوفو عنيفاً وإشكالياً؛ نظراً لأن المنطقة ذات أغلبية ألبانية سعت إلى الحصول على وضع الجمهورية لبعض الوقت، ومنذ بداية حملته القومية، خاصة في سلوفينيا وكرواتيا، ظهرت حركات سياسية أيدت الانفتاح على الرأسمالية والتعددية الحزبية واستقلال جمهورياتها، وتزعم حجج قادة الحركتين أن أراضيهما مثلت الجزء الأكثر تطوراً في الجمهورية، وأنهما حققا فوائد اقتصادية أكبر، ويجب عدم معاناة سكانهما من التحيزات الاقتصادية للجنوب، واكتسبت تلك الحجة وزناً أكبر عندما تم تحقيق النوايا المركزية لميلوسيفيتش(Bruno,2010,p.12).

بدأت المشاكل غير القابلة للحل عندما اجتمع ممثلو رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين من المكونات الثمانية في بلغراد للمرة الأخيرة في مؤتمر استثنائي للحزب، وهو مؤتمر الحزب الرابع عشر في كانون الثاني ١٩٩٠، وتركز النقاش بشكل أساسي على الشيوعيين السلوفينيين ذوي التوجهات الاستقلالية مقابل الشيوعيين الصرب الداعمين لنظام الدولة المركزية، وبسبب عدم قدرتهم على تسوية خلافاتهم حول إصلاحات النظام الفيدرالي المحتضر(Mirescu,2003,p.6)، حاولت سلوفينيا حشد الدعم لمزيد من اللامركزية ولكن تم حظر الاقتراح، وكان المندوبون السلوفينيون غاضبين للغاية لدرجة أنهم

انسحبوا من الاجتماع، وحذا الكروات حذوهم وتم تعليق الاجتماع، ولم يبق سوى رابطة الشيوعيين التي هيمن عليها الصرب، التي رفض البوسنيون والمقدونيون الانضمام إليها، وانقسمت عصبة الشيوعيين، التي كانت ذات يوم القوة التي حافظت على تماسك يوغوسلافيا بقوة(Rombouts,2022,p.19).

عاد السلوفينيون والصرب والكروات والبوسنيون والمقدونيون إلى جمهورياتهم، وبدأوا في تنظيم أنفسهم سياسياً على أسس عرقية، وليس على أسس سياسية، وكان الفشل في حل القضايا العاجلة للاتحاد بمثابة نهاية لسياسة الوحدة اليوغوسلافية، في الوقت نفسه سعت كل من الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية بنشاط إلى تحقيق أهداف مماثلة؛ لإعادة هيكلية بقايا الهوية اليوغوسلافية التي كانت شاملة في السابق، إلى نموذج إقصائي ومتطابق عرقياً حول أنظمة معتقدات كل منهما، ومع بدء النظام اليوغوسلافي في الانهيار، استغلت النخبة من كلا الطائفتين الفراغ الاجتماعي الذي خلفته الأيديولوجية الشيوعية المتمثلة في الأخوة والوحدة، وبذلت الكنيستين جهداً كبيراً للاقتراب من التوافق بنسبة مئة بالمئة بين الدين والهوية العرقية بين المتحدثين باللغة الصربية الكرواتية وعملت على تعزيز ذلك(Mirescu,2003,p.6).

استعمل ميلوسيفيتش القومية الصربية إلى أقصى حد للتخلص من خصومه السياسيين، ولكونه رئيساً لصربيا، حشد أنصاره وأرسلهم إلى المباني الحكومية للأحزاب الحاكمة في فويفودينا والجبل الأسود وكوسوفو، وأثبت نجاحه في ضمها إلى صربيا، مما أدى إلى ردود فعل معادية من الجمهوريات الأخرى، الذين قرروا الخروج من اتحاد قاده الصرب، وبدأوا في الضغط بقوة من أجل الانفصال عن الاتحاد، وكانت الأحزاب القومية التي تأسست في تلك الجمهوريات، والتي وضعت مصالح مجموعاتها العرقية فوق المصالح اليوغوسلافية، وخرجت منتصرة في الانتخابات، وتصاعدت التوترات مع صربيا، التي أرادت الحفاظ على يوغوسلافيا موحدة، وفي وقت انهيار رابطة الشيوعيين في المؤتمر الأخير سقطت الكتلة الشيوعية، عندما أعرب الزعيم السوفييتي ميخائيل غورباتشوف(Mikhail Gorbachev)، عن رغبته في إنهاء الحرب الباردة بعد انتهاء التنافس بين الشرق والغرب، وبذلك فقد عدم الانحياز معناه، وفقدت يوغوسلافيا هويتها غير المنحازة .(Rombouts,2022,p.19)

كان انهيار الاتحاد السوفييتي في نهاية الحرب الباردة، محفزاً لاندلاع الصراع القومي في يوغوسلافيا وظهور عصر الصراعات العرقية، وأصبحت الهويات بدلاً من المصالح هي الدافع المهيمن لأعمال العنف.

(NEUMANN,2013,p.218)، وأصبح الوضع في التسعينيات أكثر تعقيداً، وبدأت الطموحات السياسية للشيوعيين الوطنيين في بعض الجمهوريات بالدعوة إلى الاستقلال؛ إذ رأوا فيه مستقبلاً طويل المدى، بدأت مع النظام الديمقراطي المتعدد الأحزاب في جميع أنحاء البلاد، واستمرت مع تفكك رابطة الشيوعيين في يوغوسلافيا، وبلغت ذروتها باستقلال بعض الجمهوريات (UHER, & IRA,2019,p.29).

أدت محاولة ميلوسيفيتش الانقلاب على دستور عام ١٩٧٤، إلى قيام كرواتيا وسلوفينيا في عام ١٩٩٠، بتعزيز الاستفتاءات حول الاستقلال، وكانت النتائج مؤيدة بأغلبية ساحقة للاستقلال(Bruno,2010,p.12)، وفي نيسان ١٩٩٠، فاز فرانجو تودجمان(Franjo Tudjman)، بأول انتخابات حرة في كرواتيا، وأدى ذلك إلى خلق وضع وصفت فيه يوغوسلافيا بأنها صفيح ساخن بين تودجمان وميلوسيفيتش، وكانت درجة التعبئة العرقية بين السكان صغيرة إلى حد ما، وفي العام نفسه كشفت نتائج استطلاعات الرأي في البوسنة أن أكثر من ٩٠ بالمئة عدو العلاقات العرقية في جوارهم جيدة، على الرغم من وجود توترات سياسية على المستوى السياسي(NEUMANN,2013,p.223)، وعلى خطى الجمهوريات الشمالية، قامت كوسوفو، في حزيران ١٩٩٠، بإعلان استقلالها، وهو الوضع الذي تم خنقه بعنف في صربيا، وفي آب من العام نفسه، أعلنت البوسنة والهرسك استعدادها لإجراء انتخابات تعددية؛ وأن ما شجعها على ذلك الاضطرابات التي حدثت في الجمهوريات(Bruno,2010,p.12).

نظمت سلوفينيا استفتاء في ٢٣ كانون الأول ١٩٩٠، وتمكن السلوفينيين من التصويت لصالح الاستقلال عن يوغوسلافيا وكانت النتيجة أن ٨٨.٥ بالمئة من السلوفينيين صوتوا لصالحه مع نسبة إقبال بلغت حوالي ٨٥ بالمئة، بينما كانت يوغوسلافيا تتفكك تعرضت صربيا فجأة للتهديد؛ لان ملايين الصرب سينتهي بهم الأمر في العيش في بلدان أخرى غير صربيا، وحاول ميلوسيفيتش الحفاظ على جميع الأراضي التي وجد فيها صرب لذلك حدثت الحروب اليوغوسلافية (Rombouts,2022,p.23).

تميز عقد التسعينيات من القرن العشرين بصراعات الحرب الأهلية اليوغوسلافية، وحدثت خمسة أشكال من الحرب في يوغوسلافيا طوال مدة التسعينيات بأكملها حدثت بين يوغوسلافيا وسلوفينيا، ويوغوسلافيا وكرواتيا، ويوغوسلافيا والبوسنة والهرسك، وذلك وفقاً لإعلان استقلال دولتين، ثم بين البوسنة وكرواتيا، الحرب التي استهدفت المناطق الإقليمية، وضم جزء من الأغلبية الكرواتية إلى كرواتيا، وأخيراً حرب كوسوفو ذات الطبيعة الانفصالية، وأن فهم تلك السلسلة من النزاعات التي حدثت في المنطقة تطلب معرفة حقيقة السياق الدولي من التحولات النموذجية، وتأكيد الخصوصيات الثقافية والدينية المعقدة للمنطقة، فضلاً عن المفهوم التاريخي لتكوين المنطقة(Bruno,2010,p.8)، وكانت القومية هي الظاهرة المصاحبة للاختلافات العرقية والمذهبية التي وصلت إلى مواقف متطرفة، وتأثر المواطنون الصرب مثل الجنسيات الأخرى في يوغوسلافيا بموجة القومية في أوائل التسعينيات، ما أدى إلى صراع عسكري معقد للغاية، وطويل الأمد، وعدم استقرار إقليمي ودولي كبير (UHER, & IRA,2019,p.25).

المبحث الثالث: مراحل انهيار الاتحاد اليوغوسلافي ومساراته ١٩٩١-٢٠٠٨

رأت القيادات الشيوعية في شرق أوروبا والاتحاد السوفييتي، أن سلطتهم مهددة بالزوال فعززوا القومية، وأوضح سلوبودان ميلوسيفيتش عزمه على حشد الصرب في كل واحدة من الجمهوريات اليوغوسلافية لدعم قضيته الصربية، حتى أدت التوترات القومية إلى تمزيق الاتحاد اليوغوسلافي، وأثبتت أنها الأكثر صعوبة في الحل من بين كل القضايا المتفجرة التي واجهت البلاد، وجعلت عملية التحول الديمقراطي والتجديد الاقتصادي صعبة، وهددت وجودها كدولة قابلة للحياة، وكان الصرب والكروات والسلوفينيون مختلطين بشكل كبير، وعاش الأغلبية من المسلمين الناطقين بالسلافية في البوسنة والهرسك، والعديد من الألبان المسلمين في كوسوفو ومقدونيا، وبذلك مر انهيار الاتحاد اليوغوسلافي بمراحل عديدة (Asaturov, & Martynov,2020,p.39-40).

أولاً: استقلال سلوفينيا وكرواتيا ١٩٩١

قدمت سلوفينيا وكرواتيا اقتراحاً مشتركاً في تشرين الأول ١٩٩٠، لتحويل يوغوسلافيا إلى اتحاد كونفدرالي من الدول المستقلة، وجعله اتحاد نقدي وسوق مشتركة، دون حكومة مركزية ورأس مال مشابهاً للمجموعة الأوروبية، التي كانت سلف الاتحاد الأوروبي آنذاك، إلا أن المقترح تعرض للرفض والتمسك باقتراح صربي مضاد اختار اتحاداً اكثر تماسكاً، ما دفع الحكومة السلوفينية إلى تنظيم استفتاء في ٢٣ كانون الأول ١٩٩٠، مكن السلوفينيين من التصويت لصالح الاستقلال عن يوغوسلافيا، بعد أن لاحظوا أصرار ميلوسيفيتش على طموحاته الصربية الكبرى، وتعزيز موقفه من خلال فوزه الانتخابي في كانون الأول ١٩٩٠، في صربيا(Rombouts,2022,p.22-23).

أجرت سلوفينيا وكرواتيا الاستفتاء بسبب انزعاجهما من التشدد الصربي، وأعلنتا نفسيهما دولتين مستقلتين في عام ١٩٩١، وحصلوا على اعتراف فوري من المجتمع الدولي، إلا ألمانيا التي أكدت أن الاعتراف الفوري مصيره الفشل (Asaturov, & Martynov,2020,p.40)، وكان الإعلانان المتزامنان لاستقلال سلوفينيا وكرواتيا في عام ١٩٩١، بمثابة المرحلة الأولى من التفكك الكامل لدولة مركزية متعددة الأعراق(Mirescu,2003,p.2).

انفجر الخطاب القومي الصربي أخيراً في عام ١٩٩١، عندما قدم للجيش اليوغوسلافي سبباً للقتال تعلق بقضية سوء معاملة الصرب في الجمهوريات الأخرى، ومن ثم بدأوا الحرب في كرواتيا، ومن خلال ذلك أتضح كيف يمكن جعل الهوية سبب للصراع بعد أن غذت تصورات التفوق العرقي تلك الحملات العسكرية القومية، وتم قبول ذلك على نطاق واسع؛ نتيجة لرغبة صربيا في الأراضي الكرواتية، وكانت بمثابة بداية حرب أهلية مأساوية طويلة غير متكافئة في يوغوسلافيا، وكانت إلى حد كبير النتيجة المنطقية لسياسات ميلوسيفيتش، ودليل على أن الخطاب العرقي والقومي القائم على الهوية قوة رئيسة للصراع في الحروب اليوغوسلافية(Ginieczki,2020,p.23).

أدركت صربيا عندما بدأ الاتحاد اليوغوسلافي بالتفكك أن ملايين الصرب سينتهي بهم الأمر بالعيش في بلدان أخرى غير صربيا، على سبيل المثال خشى صرب كرواتيا من عدهم أقلية معرضة للاضطهاد في كرواتيا، وتزايدت مخاوفهم بشكل اكبر بسبب خطابات الرئيس الكرواتي فرانجو تودجمان المناهضة للصرب وتأييد حركة أوستاشي(Eustache)، التي قامت بتطهير الصرب عرقياً في الحرب العالمية الثانية، وتوقع ميلوسيفيتش أن الحرب ضرورية لإبقاء جميع الصرب داخل صربيا، والاستعداد للقتال في حالة انفصال أي جمهورية عن يوغوسلافيا(Rombouts,2022,p.23)، ومع ذلك سرعان ما أصبح المدنيون متورطين في المعارك، وعلى وجه الخصوص في جرائم الحرب، ولم يكن العنف عرضياً بل هدف إلى إنشاء دول متجانسة عرقياً خارج دولة يوغوسلافيا المتعددة الأعراق، وبدأ تصاعد التوترات وتحولها إلى صراع مفتوح، وكرد فعل على ذلك أعلن في ٢٨ شباط ١٩٩١، عن إنشاء مقاطعة كرايينا(Krajina) الصربية، المتمتعة بالحكم الذاتي، الواقعة جنوب غرب كرواتيا وأغلب سكانها من الصرب مما أثار صراعات مسلحة(NEUMANN,2013,p.223).

أعلنت سلوفينيا وكرواتيا استقلالهما رسمياً في ٢٥ حزيران ١٩٩١، وتدخل الجيش اليوغوسلافي في سلوفينيا، مما أدى إلى صراع عسكري، وبعد حرب قصيرة خرجت قوات الدفاع الإقليمي السلوفينية منتصرة، وكان واضحاً أن الجيش اليوغوسلافي لم يقاتل سلوفينيا بكامل قوته؛ لأن الجيش كان بمثابة امتداد للسلطة السياسية في بلغراد التي كان هدفها بقاء جميع الصرب في دولة قومية واحدة مشتركة، ونظراً لحقيقة أن عدداً قليلاً من الصرب عاشوا في سلوفينيا، لم يكن استقلال سلوفينيا مشكلة كبيرة مشابهة لقضية استقلال كرواتيا، وعندما انسحب الجيش اليوغوسلافي من سلوفينيا، قبل ميلوسيفيتش استقلالها بشكل أساسي، ومع ذلك لم تفضل صربيا خسارة السكان الصرب في كرواتيا، وسرعان ما اندلعت صراعات مسلحة بين الجيش اليوغوسلافي والقوات المسلحة الكرواتية، وأدى ذلك إلى سقوط العديد من الضحايا بين قتيل وجريح (Rombouts,2022,p.23).

تطور الأمر في مرحلة أخرى في ٢٦-٢٧ آب ١٩٩١، عندما حدث صدام عرقي في قرية كييفو(Kievu) الصغيرة، ذات الغالبية الكرواتية، بعد أن هاجم الجيش اليوغوسلافي القرية، ورافقته ميليشيا شبه عسكرية من صرب كرايينا، وهم مدنيون لم يتم دمجهم في هيكل قيادة الجيش اليوغوسلافي وشردت السكان الكرواتيين، وتبين أن تلك الطريقة كانت نموذجاً للصدام العرقي اللاحق في البوسنة والهرسك، وبذلك تم تعبئة المدنيين للمشاركة في جرائم الحرب (NEUMANN,2013,p.223)، بعد أن شرعت القوات المسلحة الصربية في النصف الثاني من عام ١٩٩١، في اقتطاع جيوب في العديد من المناطق التي عاش فيها الأقليات الصربية؛ بذريعة حماية الصرب، وحملت قوات حرب العصابات الصربية، بدعم من الجيش اليوغوسلافي السلاح ضد كرواتيا وسلوفينيا، واستولت على أراضي في كل منهما، وبعد عدة أشهر من القتال الذي أودى بحياة الآلاف من السكان تم وقف إطلاق النار، لكن أسوأ أعمال العنف حدثت عندما حاول الصرب والكروات إنشاء جيوب لأنفسهم في البوسنة والهرسك(Asaturov, & Martynov,2020,p.41).

أدى دور سلوفينيا في الحروب اليوغوسلافية إلى إنقاذها من معظم الدمار الذي حدث في أماكن أخرى، ومن ثم اكتسبت البلاد نفوذاً ثقافياً وسياسياً كبيراً على المسرح العالمي؛ بسبب ضبط النفس في زمن الحرب، ونظر إلى سلوفينيا

على أنها انتمت إلى مجموعة دول أكثر تحضراً بدلاً من يوغوسلافيا التي مزقتها الحروب، وحدث ذلك التحول في الهوية الوطنية السلوفينية كنتيجة مباشرة للصراعات، وكيف ساهم دور سلوفينيا في الصراع في تشكيل هويتهم الوطنية بشكل مباشر، ورغبة سلوفينيا في اكتساب سمعة وطنية لتجسد تحضرها وأثبات حداثتها، والأهم من ذلك أنها ميزت خطابها عن خطاب الجمهوريات اليوغوسلافية الأخرى، التي ربطها العالم بالفوضى والحرب، واتضاح البعد السياسي لسلوفينيا قياساً مع دول الأخرى في رفضها بشدة أي اتصال بمنطقة البلقان، وتلك مؤشرات واضحة على كيفية سعي سلوفينيا بنشاط لخلق حالة من السلام والكياسة من اجل الهروب من الارتباط بالحروب اليوغوسلافية(Ginieczki,2020,p.24).

كان استقلال سلوفينيا سهلاً؛ لأن غالبية السكان كانوا من السلوفينيين دون أي أقلية كبيرة، وفي الوقت نفسه كان استقلال كرواتيا صعباً؛ لوجود أقلية صربية فيها قدرت بما يقرب من ١٣ بالمئة، فضلاً عن مساعدة الجيش اليوغوسلافي الذي سيطرت عليه بلغراد ودعم الميليشيات، بعد حمل الصرب العرقيون الذين عاشوا في كرواتيا السلاح وقاتلوا الإدارة الجديدة (Peric,1998,p.11).

فقدت كرواتيا ثلث أراضيها بعد إعلان استقلالها، وتكبدت خسائر فادحة في كوفوفار(Kovovar)، ومدن أخرى على خط المواجهة على أيدي الجيش الشعبي اليوغوسلافي والصرب الكرواتيين الانفصاليين، وبعد تلك الهزيمة، بدأت كرواتيا في بناء قواتها المسلحة على أمل استعادة منطقة كرايينا التي أصبحت دولة معلنة من جانب واحد للصرب الكرواتيين .(Peskin,2005,p.216)

نظمت الدول الجديدة نفسها بطريقة ديمقراطية، واحترمت الحدود والأقليات العرقية الموجودة على أراضيها، وكان مستوى التنمية الاقتصادية في كرواتيا وسلوفينيا مرتفعاً، وسعى البلدين للاندماج في الكتلة الاقتصادية الأوروبية، وتم تخفيف الضغط الدولي لاستقلال البلدين اليوغوسلافيين؛ بسبب الوضع الدولي آنذاك، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩١، وظهور خمس عشرة دولة جديدة، ومن الممكن جعل انفصال الجمهوريتين أكثر سلمية، وظهر ذلك في سلوفينيا، إما في كرواتيا وبسبب دعم الحكومة المركزية، تصاعدت المقاومة بعد محاولة ضم منطقتين أحتلها الكروات عاش فيهما سكان صرب، وكانت الصراعات أطول وأكثر عنفاً بسبب وجود تلك المنطقتين، ومن ثم انتهى الصراع في شباط ١٩٩٢، مع وقوع منطقتي كرايينا وسلافونيا(Slavonia)، الكرواتيتين تحت القيادة الصربية(Bruno,2010,p.12-13)، ومن ثم انتهى الصراع في ٤ شباط ١٩٩٢، بناءً على التقرير المقدم من قبل الأمين العام للأمم المتحدة، للعمل بقرار مجلس الأمن رقم ٧٢١ لعام ١٩٩١، الذي أبلغ فيه عن وقف إطلاق النار وإزالة إحدى العقبات التي اعترضت طريق عملية حفظ السلام في يوغوسلافيا(S/RES/740(1992)p.12).

أطلق الجيش الكرواتي حملتين عسكريتين جيدتي التخطيط؛ وهما الفلاش في ١ أيار، والعاصفة في ٤ آب من عام ١٩٩٥، سرعان ما استعادت الأراضي التي خسرتها أمام القوات الصربية في حرب عام ١٩٩١، وكانت بمثابة انعكاس لمصير الجيش الكرواتي الذي عانى من الضعف في السابق، ومهدت الطريق لظهور البلاد كقوة إقليمية، وأدى ذلك إلى توطيد الدولة الكرواتية المستقلة حديثاً(Peskin,2005,p.216)، وتمكنت كرواتيا من هزيمة المتمردون الصرب الذين تلقوا الدعم من الجيش اليوغوسلافي الذي هيمن عليه الصرب، وبعد عملية العاصفة الضخمة فرت معظم الأقلية الصربية من البلاد، وأن عدة آلاف قتلوا ومئات الآلاف نزحوا من الجانبين، وغادر معظم الصرب في كرواتيا من البلاد. (Paris,2004,p.109)، وشرعت كرواتيا في استعادة مناطقها المفقودة وإعادة إنشاء حدودها الأصلية، التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، ومن الجدير بالذكر، أن الحكومة التي استولت على كرواتيا كانت قومية للغاية مثل صربيا، بعد أن روج تودجمان، رئيس كرواتيا، للمذابح ضد الأقليات الصربية والبوسنية من المسلمين في أراضيه وخارجها، عند استعادة

المناطق الكرواتية التي كانت خارج سيطرته بطريقة وحشية، واستخدم عمليات التطهير العرقي في المنطقة التي تركت مئات الآلاف من اللاجئين(Bruno,2010,p.12).

أدى النصر العسكري الحاسم الذي حققته كرواتيا إلى إيذاء الصرب الكرواتيين، وحدثت أكبر أزمة لاجئين في البلقان، وأصر الرئيس فرانجو تودجمان على أن الصرب الذين غادروا كرواتيا في عام ١٩٩٥، لم يجبروا على الخروج، بل اختاروا المغادرة بمحض إرادتهم، ومع ذلك أشارت الأدلة إلى أن تودجمان شرع في سياسة التطهير العرقي، ورغم أن صربيا ظلت عنصر الشر الرئيس في نظر الغرب، إلا أن كرواتيا لم تكن في مأمن من انتقاد سلوكها في زمن الحرب بالنسبة للقوميين الكرواتيين خرجت البلاد من حرب الاستقلال، والتي سميت في كرواتيا بحرب الوطن، ليس فقط كمنتصر ولكن أيضاً كضحية؛ بسبب معاناتها السابقة على أيدي الصرب(Peskin,2005,p.216).

ثانياً: استقلال مقدونيا ١٩٩١

إن اضمحلال الهيكل السياسي القديم ليوغوسلافيا في أواخر عام ١٩٩٠، حفز جمهورية مقدونيا اليوغوسلافية على أجراء أول انتخابات متعددة الأحزاب، وفي ٨ أيلول ١٩٩١، أصبحت دولة مستقلة، بعد استفتاء شعبي، وكانت الجمهورية الوحيدة التي نجت من الدماء والعنف أثناء الانفصال، ولكن المخاطر المحلية والدولية العميقة المباشرة هددت بجعل مستقبلها محفوفاً بالمخاطر، وعلى الصعيد الداخلي، قامت حكومة مقدونيا بصياغة دستور للبلاد، إلا أنها واجهت مشكلة وجود أقلية ألبانية عرقية متمركزة إقليمياً، ومطالبتها بالاعتراف الرسمي كجنسية تمتعت بحقوق حكم ذاتي واسع النطاق، كما واجهت وضعاً اقتصادياً سيئاً نتيجة للاقتصاد الضعيف، والبنية التحتية غير الموجودة تقريباً والحرب المشتعلة في يوغوسلافيا، وعلى الصعيد الخارجي سعت بنشاط للحصول على الاعتراف الدولي، وهو أمر بالغ الأهمية لقبولها في المنظمات الدولية –الأمم المتحدة، صندوق النقد الدولي، منظمة الأمن والتعاون في أوروبا– لتحل محل المظلة الحمائية اليوغوسلافية القديمة وتوفير الأمن والشرعية والمساعدة الاقتصادية(KOTSOVILIS,2005,p.5-7)، وبناءً على طلب حكومة جمهورية مقدونيا، لمنظمة الأمم المتحدة بأخذ دورها في البلاد، بعد أن أشارت رسالة رئيس مجلس الأمن المؤرخة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٩٢، التي نقل فيها موافقته على اقتراح الأمين العام بإيفاد بعثة استطلاعية إلى جمهورية مقدونيا، ومن جانب أخر، أكد مجلس الأمن على إيجاد بعثة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا في جمهورية مقدونيا. (S/RES/795(1992)p.62).

كانت الأقلية الألبانية في مقدونيا كبيرة وكانت التوترات بين المقدونيين العرقيين والألبان في مقدونيا موجودة بالفعل قبل حرب كوسوفو، وتأثرت البلاد بشدة بحرب كوسوفو في عام ١٩٩٩، عندما فر حوالي ٣٠٠ ألف من ألبان كوسوفو إلى مقدونيا عبر الحدود الشمالية لمقدونيا، وفي عام ٢٠٠١، اندلعت اشتباكات بين المتمردين الألبان وقوات الأمن المقدونية، وانتهى الصراع باتفاقية أوهريد(Ohrid)، للسلام التي تم التوقيع عليها في آب ٢٠٠١، ولكن بالمقارنة مع النزاعات المسلحة الأخرى كان العنف في مقدونيا محدوداً من حيث الزمان والمكان، فضلاً عن عدد الضحايا، وتركز القتال في عدد قليل من البلديات على طول حدود كوسوفو، في حين أن عدد الخسائر متنازع عليه، ولم تتجاوز الأعداد مئة ضحية (Dyrstad,2012,p.821).

ثالثاً: استقلال البوسنة والهرسك ١٩٩٢

عجلت عملية إعلان استقلال سلوفينيا وكرواتيا ومقدونيا في عام ١٩٩١، استقلال البوسنة والهرسك في عام ١٩٩٢، وكان ذلك نتيجة لتزايد نفوذ القادة القوميين وضعف الهيكل الفيدرالي، وظهور شبكة معقدة من النزاعات الإقليمية والصراعات العرقية القومية، التي أدت في النهاية إلى انهيار الاتحاد اليوغوسلافي(Jovanović,2023,p.230)، بعد أن

سعت البوسنة والهرسك كباقي الجمهوريات التي سبقتها بالانفصال بناءً على طلب من حكومتها المسلمة، مما أثار غضب صربيا بسبب ذلك التوجه، فضلاً عن وجود الترحيب الدولي بذلك(Asaturov, & Martynov,2020,p.40)، وعندما اتخذ الرئيس البوسني عزت بيغوفيتش(Izetbegovic)، خطوات نحو الانفصال عن يوغوسلافيا في عام ١٩٩٢، تعرض ١.٣ مليون صربي لتهديد اضطرارهم العيش خارج صربيا، وأراد ميلوسيفيتش منع ذلك بأي ثمن، وفي العام نفسه، بدأت الحلقة الأكثر دموية من الحروب اليوغوسلافية(Rombouts,2022,p.23).

أجرت البوسنة والهرسك في آذار ١٩٩٢، استفتاءً لتقرير استقلالها، وكانت النتيجة لصالح الاستقلال، على الرغم من عدم مشاركة صرب البوسنة الذين قاطعوا التصويت، وكانت تلك بداية الصراع الأطول والأكثر عنفاً في يوغوسلافيا، وكان السكان البوسنيون هم الأكثر تعددية عرقية بين جميع الجمهوريات، حيث كان (٤٣.٧) بالمئة مسلمين، و (٣٢) بالمئة صرب، و (١٧.٤) بالمئة كروات، وكان رد الصربيين البوسنيين على نتيجة الاستفتاء إعلان جمهورية البوسنة الصربية وعاصمتها مدينة بالي(Pale)، الواقعة جنوب شرق سراييفو، التي حصلت على دعم من يوغوسلافيا (Bruno,2010,p.13)، واشتعلت نيران الحرب في البوسنة والهرسك في نيسان ١٩٩٢،(Peric,1998,p.11)، ولم تكن تلك العملية سهلة ولا سريعة بل كانت أسوأ سيناريو وغير متوقعة(UHER, & IRA,2019,p.29)، وبدأ قصف مكثف ضد العاصمة سراييفو، مع تمتع صربيا بمزايا حربية أكبر بكثير من البوسنة؛ لأنها ورثت المعدات والجيش الضخم من يوغوسلافيا، ما حفز منظمة الأمم المتحدة الموافقة على قرار نص على إرسال قوات تابعة لها إلى المنطقة، وإنشاء قوة الأمم المتحدة للحماية – قوة حماية السلام التابعة للأمم المتحدة– بهدف مراقبة مدينة سراييفو وضمان إمدادها بالعلاج والغذاء(S/RES/760(1992)p.29-30)، واستمرت تلك الحرب لأكثر من أربع سنوات، تميزت بالإبادة الجماعية، والتطهير العرقي، ومعسكرات الاعتقال، والقتل الجماعي، والاغتصاب، والحصار، والتدمير المنهجي للمدن والقرى، وسقط أكثر من ٣٠٠ ألف ضحية، وحوالي مليوني شخص مشرد(Peric,1998,p.11).

أعاد المجتمع الدولي في أيار ١٩٩٢، بناء استقلال سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك بالكامل؛ من خلال ضمها إلى منظمة الأمم المتحدة، على التوالي حيث ضمت جمهورية كرواتيا(S/RES/753(1992)p.190)، ومن ثم ضم جمهورية سلوفينيا (S/RES/754(1992)p.190)، ومن ثم ضم جمهورية البوسنة والهرسك S/RES/755(1992) (p.191)، وفرض قيود اقتصادية على يوغوسلافيا؛ في محاولة للحد من الأعمال العدوانية، والاتفاق على إنهاء عضوية يوغوسلافيا في منظمة الأمم المتحدة في أيلول من العام نفسه، وفرض حصار بحري عليها(S/RES/757(1992)p.23-25)، وفي تشرين الأول ١٩٩٢، طلبت المنظمة مساعدة حلف شمال الأطلسي؛ لمراقبة المجال الجوي البوسني؛ ليتم احترام الحدود التي فرضتها الأمم المتحدة(Bruno,2010,p.13)، وتضمنت الحرب حصاراً طويل الأمد لسراييفو ومدن أخرى، ووقعت فظائع رهيبة من جميع الجهات، لكن الوحدات العسكرية الصربية والقوات المسلحة كانت المسؤولة في المقام الأول عن التعامل بوحشية مع السكان المسلمين، وعن ارتكاب أعمال وحشية وصفت بالتطهير العرقي، من ذبح المدنيين والنهب والاغتصاب الجماعي(Asaturov, & Martynov,2020,p.40)، وإنشاء ست مناطق أمنية، من خلال قرار مجلس الأمن رقم ٨٣٦؛ من أجل إيواء وحماية اللاجئين المدنيين وهي، سراييفو، وبيهاتش(Bihać)، وتوزلا(Tuzla)، وسريبرينيتسا(Srebrenica)، وزيبا(Ziba)، وغورازدي(Gorazde)، وعلى الرغم من الحصار الاقتصادي والبحري ووجود وحدات الأمم المتحدة، لم يكن هناك شيء قادر على وقف تقدم القوات الصربية، ولا المذابح المدنية، ووصل فشل الأمم المتحدة إلى درجة تم احتلال ثلاث من مدنها–المناطق الأمنية–، مما تسبب في هروب جماعي للسكان المحميين، فضلاً عن انسحاب قوات حفظ السلام، (S/RES/836(1993)p.21).

نفذ حلف شمال الأطلسي أول عمل عسكري فعال له في شباط ١٩٩٤، وتمثل في هجوم جوي شنته القوات المسلحة في البوسنة؛ حتى تجبر القوات الصربية على الانسحاب وفك الحصار المفروض على سراييفو، وعلى الرغم من الهجومين

اللذين شنهما حلف شمال الأطلسي، فإن الهجمات على موظفي الأمم المتحدة مستمرة، وفي الوقت نفسه، أصبح الوضع غير مستدام لكلا الجانبين واستمرت المجازر بقسوة، وبدأ الرأي العام الدولي الذي رافق الحرب المطالبة بإجراءات فعالة، وخاصة بوجود اتهام لبعض دول أوروبا بالسماح بقتل آلاف المدنيين بطريقة سلبية(Bruno,2010,p.13-14).

حدث الصراع الأكثر دموية في البوسنة والهرسك في المدة من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥، وقاتلت القوات الصربية والجيش الشعبي اليوغوسلافي القوات الكرواتية والبوسنية، وفشل التحالف الهش بين الكروات والبوسنيين أثناء الحرب، مما أدى إلى القتال بين القوات الكرواتية والبوسنية، وفر حوالي مليون شخص من البوسنة والهرسك خلال الحرب، وبعد الحرب تم إنشاء المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا؛ للتحقيق في جرائم الحرب، وأبرزها مذبحة سريبرينيتسا حيث تم إعدام ٧٥٠٠ من البوشناق الذكور في عام ١٩٩٥، ولا يوجد إحصاء دقيق بشأن العدد الإجمالي للضحايا، وأن حرب الخلافة اليوغوسلافية في سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك، استمرت من عام ١٩٩١، إلى عام ١٩٩٥، وانتهت باتفاقية دايتون(Dayton)، للسلام عام ١٩٩٥،(Dyrstad,2012,p.821).

ظلت البوسنة مقسمة ومدمرة، وعاصمتها في خضم الدمار والسكان افتقروا إلى أبسط الموارد اللازمة للعيش، وظهرت بعض المقترحات لحل تلك المشكلة؛ إذ قدم وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ريتشارد هولبروك(Richard Holbrook)، في عام ١٩٩٥، مقترح تقسيم البلاد إلى جزأين متساويين في الحجم، أحدهما للكروات والمسلمين والآخر للصرب، ومن ذلك المقترح استخلصت نقاط اجتماع دايتون في الولايات المتحدة الأمريكية الذي روج له الرئيس الأمريكي بيل كلينتون(Bill Clinton)، التي أكدت على استمرار البوسنة والهرسك في تشكيل دولة واحدة ذات برلمان ورئيس منتخبين مباشرة من قبل السكان تحت إشراف دولي، ولها كيانان؛ أحدهما مسلم–كرواتي وآخر مكون من بعض الإقليم، وجعل التنقل فيها حراً لسكان كلا الطرفين، مع بقاء العاصمة سراييفو موحدة، وحرمان كل المتهمين بارتكاب جرائم حرب من تولي مناصب عامة ومحاكمتهم في المحكمة الدولية، ونشر قوة دولية في البلاد لتعزيز النظام والمراقبة، وتم التوصل إلى اتفاق السلام الرسمي في فرنسا، وروج له الرئيس جاك شيراك(Jacques Chirac)، بمشاركة القادة الرئيسيين لحلف شمال الأطلسي، ورئيس يوغوسلافيا سلوبودان ميلوسيفيتش، ورئيس كرواتيا فرانجو تودجمان ورئيس البوسنة علي عزت بيغوفيتش، وتم الاتفاق على النقاط التي حددت في اتفاقية دايتون، في ولاية أوهايو الأمريكية، في ٢١ تشرين الثاني ١٩٩٥،(Bruno,2010,p.14)، وتم توقيع اتفاقية دايتون للسلام أخيراً من قبل رؤساء البوسنة وكرواتيا وصربيا في باريس، في ١٤ كانون الأول ١٩٩٥، وتم إعادة جميع الأراضي التي احتلها الصرب في كرواتيا، وجعل البوسنة والهرسك دولة موحدة متكونة من الاتحاد الإسلامي الكرواتي وجمهورية صربسكا – الكيان الذي سيطر عليه صرب البوسنة– إلا أن إعادة اللاجئين البوسنيين التي حثت عليها بعض دول أوروبا وعلى رأسها ألمانيا، كانت مستحيلة؛ لأن منازل هؤلاء الأشخاص في الغالب تم الاستيلاء عليها من قبل لاجئين آخرين أجبروا أيضاً على مغادرة منازلهم في مكان آخر، فضلاً عن الألغام الأرضية المنتشرة في كامل أراضي البوسنة، وخاصة على طول خطوط الحدود بين الأعراق(Peric,1998,p.19).

وجدت صربيا نفسها في قلب النزاعات، بعد استخدم ميلوسيفيتش الخطاب القومي، ونشر مفهوم صربيا الكبرى، وسعيه إلى توحيد المناطق التي سكنها الصرب، وتقديمه الدعم في الحروب التي قادها الصرب الكرواتيون وصرب البوسنة، وبعد تفكك الاتحاد اليوغوسلافي كان همه الرئيس هو موقفه على الساحة السياسية الدولية، ونتيجة لذلك تخلى عن المصالح الصربية في كرواتيا في عام ١٩٩٥، وقطع العلاقات مع زعيم صرب البوسنة رادوفان كاراديتش(Radovan Karadzic) (Jovanović,2023,p.230).

أعد الممثل السامي للأمم المتحدة كارل بيلت(Carl Belt)، في آذار ١٩٩٦، تقريراً لتنفيذ اتفاق السلام عن المرحلة الأولى، جاء فيه: "**بعد ثلاثة أشهر من توقيع اتفاق السلام، يجب علينا مع الأسف أن نستنتج أن قوى الانفصال العرقي لا تزال أقوى بكثير من قوى إعادة الإدماج العرقي...ولا يمكن بناء سلام دائم دون التزام حقيقي بالمصالحة، ولكن لا**

شيء على ما يرام، إن المصالحة سوف تصبح صعبة بعد حرب مريرة ووحشية مثل الحرب في البوسنة، وسوف تصبح المصالحة ممكنة عندما ينشأ تصور مشترك بأن العدالة للجميع سوف تتحقق، وعندما يتم تضافر طاقات وجهود شعب البوسنة والهرسك، التي ركزت بشكل أقل على تراث الماضي المرير أكثر من الوعد بمستقبل مشترك".

.(Peric,1998,p.19-20)

رابعاً: إنشاء جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ١٩٩٢

لم تشهد أراضي صربيا والجبل الأسود صراعاً على أراضيهما، على الرغم من مشاركتهما في الحروب اليوغوسلافية (Dyrstad,2012,p.821)، ومع تفكك وانهيار يوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية، أنشئت خمس دول جديدة مكانها، ومن بينها جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية، التي تأسست في ٢٧ نيسان ١٩٩٢، والتي ضمت جمهوريتي صربيا والجبل الأسود، وورثت الاستمرارية الدولية والقانونية ليوغوسلافيا الاتحادية الاشتراكية، وحوت أكبر عدد من الأقليات المختلفة، وعلى المستوى المعياري أعربت الجمهورية الجديدة عن نيتها الاحتفاظ بموقف الدولة السابقة بشأن الأقليات، وتأكيد سياستها الداخلية لضمان أعلى المعايير الدولية المتعلقة بحماية حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، وتبين ذلك الموقف بواسطة إعلان ممثلي شعب صربيا والجبل الأسود بشأن الأهداف الأساسية والمباشرة الطويلة الأمد للدولة المشتركة، من خلال دستور جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الذي تم اعتماده في ٢٧ نيسان ١٩٩٧،(Obradović,2018,p.1192-1193).

ترسخت اهم الحركات المؤيدة للديمقراطية في يوغوسلافيا في عام ٢٠٠٠، خلافاً لجزء كبير من شرق أوروبا، وحدثت التعبئة الجماهيرية في صربيا بالتزامن مع الانتخابات وبدعم من الممولين الغربيين، وبذلت مجموعات المجتمع المدني جهوداً هائلة لإخراج الناس للتصويت، ومراقبة الانتخابات، وكانت هناك حاجة إلى مظاهرات حاشدة وإضراب عام في صربيا لأنها حكم سلوبودان ميسلوسيفيتش(Ritter,2012,p.20).

قامت جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية بتوسيع الإطار المعياري بتحسن وضع الأقليات من خلال أحكام عديدة في الدستور وقانون حماية وحريات الأقليات القومية المعتمدين في ٢٦ شباط ٢٠٠٢، من خلال التصديق على إطار مجلس أوروبا واتفاقية حماية الأقليات القومية التي دخلت حيز التنفيذ في ١ أيلول ٢٠٠١(Obradović,2018,p.1193)، وكانت بداية القرن الحادي والعشرين على أمل تغير الثقافة السياسية وتمكين المعارضة، وفي عام ٢٠٠٣، تم الإعلان عن اتحاد صربيا والجبل الأسود، الذي تم إنشاؤه من الجمهوريتين الفيدراليتين في يوغوسلافيا (UHER, & IRA,2019,p.29)، وفي حزيران ٢٠٠٦، أجرت جمهورية الجبل الأسود استفتاء أعلنت فيه استقلالها عن الاتحاد مع صربيا، وعدت الجمهورية الأخيرة التي خرجت من الاتحاد(Dyrstad,2012,p.821).

خامساً: الصراعات في كوسوفو ١٩٩٨-١٩٩٩

اكتسبت كوسوفو خلال النظام الشيوعي وضعاً جمهورياً بحكم الأمر الواقع وحصلت على درجة كبيرة من الحكم الذاتي الممنوحة لها بموجب الدستور اليوغوسلافي لعام ١٩٧٤،(Creț̦u,2017,p.149)، ووصفت العلاقات بين الأعراق قبل اندلاع الحروب اليوغوسلافية بانها جيدة بشكل عام، وكان الاستثناء الوحيد هو كوسوفو بعد أن أبلغ كل من الصرب والألبان عن مضايقات وانتهاكات، وكانت كوسوفو المنطقة الأفقر في يوغوسلافيا، مع ارتفاع معدلات الأمية، ونقص البنية التحتية الأساسية، وكان الوضع في كوسوفو متوتراً للغاية قبل انهيار الاتحاد اليوغوسلافي؛ لتزايد النزعة القومية الصربية التي ساعدت في توطيد السلطة للرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش(Dyrstad,2012,p.820)، الذي قام بدمج المنطقة رسمياً داخل صربيا في آذار ١٩٨٩، وبدأت حملة استعادة الحكم الذاتي في حزيران ١٩٩١، بانتخاب

إبراهيم روغوفا(Ibrahim Rugova)، رئيساً لجمهورية كوسوفو غير الرسمية، إلا أن سياساته السلمية أثبتت عدم فعاليتها (Creţu,2017,p.149).

مارسَ الألبان نشاط أكبر عندما بدأت الصراعات من سلوفينيا، إلى كرواتيا وإلى البوسنة والهرسك، وظهر أن هناك عناصر من الإجراءات المخطط لها في إدارة الأزمة اليوغوسلافية عند توقف الصراعات في جزء من يوغوسلافيا، فإنها تتصاعد في جزء آخر منها(PROROKOVIĆ, & KRGA, n. d.,140).

إن الظروف التي وجدت في ظلها يوغوسلافيا في التسعينيات، وإمكانات التوسع الإقليمي، والوعود التي قطعها ميلوسيفيتش على نفسه في إعلان صربيا الكبرى وعدم تمكنه الإيفاء بها، وأزمة استقرار موقفه السياسي، والقوة الدافعة للقومية داخل الأراضي الصربية، ورغبة الإقليم بالانفصال واستعداده لخوض الصراع مع يوغوسلافيا، أدت إلى الحرب في كوسوفو وأن تراجع الأيديولوجية الاشتراكية في العالم فتح فجوات لظهور قيادات سياسية جديدة، وضعت مقترحات ذات طابع أكثر اختلافاً لتحل محل النظام المنحل، ولم تكن مسألة كوسوفو مطروحة على جدول الأعمال خلال مفاوضات السلام في دايتون عام ١٩٩٥، وركزت المناقشات على حرب البوسنة والهرسك، وتأكيدها كدولة مستقلة والحفاظ على حدودها، وتأكيد يوغوسلافيا المكونة من صربيا والجبل الأسود وفويفودينا وكوسوفو، وانتهى الأمر الذي تم الحصول عليه في دايتون إلى تأخير رد الفعل الدولي فيما تعلق بالأزمة الإنسانية المستمرة والمجازر ضد الألبان، فضلاً عن وجود شرط من جانب حلف شمال الأطلسي، والولايات المتحدة الأمريكية، قضي بالحفاظ على سلامة الأراضي اليوغوسلافية، مستفيدين مما تم الاتفاق عليه في دايتون، وهو العامل الذي ساهم في تأخير إجراءات وقف الأزمة الإنسانية (Bruno,2010,p.14-16,18)، ولذلك لجأ جيش تحرير كوسوفو في عام ١٩٩٦، إلى تكتيكات حرب العصابات (Creţu,2017,p.149).

ازدادت قوة جماعة المقاومة السياسية مع تكثيف الانتهاكات الصربية، إلا أنها فقدت مصداقيتها بأن النشاط السياسي وحده قادراً على حل الأزمة، واختيار الكفاح المسلح، بواسطة جيش تحرير كوسوفو الذي حارب قوات الشرطة والجيش اليوغوسلافي دفاعاً عن سكان كوسوفو المضطهدين، وكانت تلك المقاومة المسلحة ذريعة لميلوسيفيتش بتكثيف الجرائم ضد السكان والترويج لإبادة عائلات ألبانية بأكملها، بناءً على أن هؤلاء كانوا مقاتلين من جيش تحرير كوسوفو، ولسنوات عديدة كان لدى الشرطة معتقلين من رجال ونساء وأطفال ليس لديهم أي علاقة بجيش تحرير كوسوفو الذين قتلوا أو سجنوا أو طردوا من منازلهم، وكانت الخطة على نطاق أوسع للترويج بين السكان الألبان حتى يهاجروا(Bruno,2010,p.17).

وقعت الحرب الفعلية بين ٥ آذار ١٩٩٨، و ١١ حزيران ١٩٩٩، بهجمات حرب العصابات التي قام بها جيش تحرير كوسوفو، وتلتها الهجمات الصربية التي كانت انتقامية ركزت على التطهير العرقي، وهدفت استراتيجية جيش تحرير كوسوفو إلى إثارة أعمال انتقامية وحشية من الجانب الصربي، وتصعيد الصراع إلى درجة أشعار المجتمع الدولي وإلزامه بالتدخل، وخلق الظروف الضرورية بحصول كوسوفو على الاستقلال (Creţu,2017,p.149-150).

تم تكثيف القمع اليوغوسلافي للحركة الانفصالية في كوسوفو منذ عام ١٩٩٨، وأدى إلى مذابح للسكان الألبان بقوالب مشابهة لتلك التي استخدمها الصرب في التطهير العرقي خلال حرب البوسنة والهرسك، وفي تموز من العام نفسه، بلغ عدد القتلى ٤٠٠ شخص وهجر حوالي ٢٥٠ ألف ألباني منازلهم وأصبحوا لاجئين خوفاً من الهجوم.
(NOGUEIRA,2000,p.159)، وأشارت حرب كوسوفو إلى أعمال الشغب والاشتباكات بين قوات الأمن الصربية والانفصاليين الألبان(Dyrstad,2012,p.821)، وأثار الهجوم العنيف الذي وقع في كوسوفو تغيراً في مواقف زعماء العالم في كوسوفو، والسياسات اليوغوسلافية؛ لاحتواء الحركة الانفصالية، وفي ذلك الوقت احتوت الحكومة اليوغوسلافية حركات تمرد داخل أراضيها، واعترفت بسيادة تلك الدولة على المستوى الدولي، فضلاً عن حقها في حماية وصيانة حدودها، وفي ذلك الوقت، أدى سلوك القوات الانفصالية في القتال والترويج لمذابح المدنيين الألبان في كوسوفو إلى ظهور

أسئلة تدريجية من جانب المجتمع الدولي، فيما تعلق بشرعية الأعمال اليوغوسلافية، ومثل تلك التساؤلات حولت الصراع الداخلي إلى أزمة ذات طبيعة دولية (Bruno,2010,p.18).

تحفز المجتمع الدولي في بداية عام ١٩٩٩، واجبر حلف شمال الأطلسي على التحرك من خلال جلب الأطراف المتحاربة إلى طاولة المفاوضات(Crețu,2017,p.149)، وكانت محاولة للاتفاق على مقترح؛ من أجل التوصل إلى حل النزاع دون الحاجة إلى هجمات عسكرية، وتم إبرام اتفاقية رامبوييه(Rambouillet)، بالقرب من باريس، في بداية عام ١٩٩٩، وأكدت على إنهاء قمع الأغلبية الألبانية، وانسحاب القوات النظامية وشبه العسكرية، وترتيب الوضع المستقبلي لكوسوفو ضمن الاتحاد اليوغوسلافي، وإرسال قوة سلام لضمان تنفيذ الاتفاق(NOGUEIRA,2000,P.149)، وأخيراً انتهت مفاوضات رامبوييه بالفشل؛ ولم يوقع على الوثيقة سوى وفد كوسوفو، في حين استمر الهجوم الصربي على أساس التطهير العرقي، وبدأت عملية القوى المتحالفة في ٢٤ آذار ١٩٩٩، واعتمدت بشكل رئيس على القصف الجوي، وارتفع عدد الطائرات المستخدمة كجزء من العملية من ٣٤٤ في آذار إلى ١٠٣١ في حزيران من عام ١٩٩٩، في حين زادت الغارات الجوية من ٣٠ إلى ٥٠ في اليوم خلال الأسبوع الأول إلى ٣٠٠ في اليوم نهاية أيار(Crețu,2017,p.149)، وبحلول حزيران ١٩٩٩، أصبحت كوسوفو من الناحية الفنية محمية تابعة للأمم المتحدة(Dyrstad,2012,p.821)، وبذلك انتهت الحرب الأهلية اليوغوسلافية في عام ١٩٩٩، عندما استخدم حلف شمال الأطلسي القوة العسكرية وشرع في حرب جوية(UHER, & IRA,2019,p.29)، وفي عام ٢٠٠٨، أعلنت كوسوفو استقلالها عن صربيا وأصبحت دولة ذات سيادة(Dyrstad,2012,p.821)، وعارضت الحكومة الصربية بشدة إعلان استقلال كوسوفو، ورفضت التعامل مباشرة مع حكومة كوسوفو، ولا تفعل ذلك إلا من خلال الوسطاء الدوليين، وعد ذلك الخطوة الأخيرة لنهاية الاتحاد اليوغوسلافي إلى الأبد(UHER, & IRA,2019,p.30)، وهذه الخريطة توضح مراحل انهيار وتفكك الاتحاد اليوغوسلافي منذ عام ١٩٩١، حتى عام ٢٠٠٨(https://www.instagram.com/reel/DWt0pJ9DBvm/).

خريطة توضح مراحل انهيار وتفكك الاتحاد اليوغوسلافي منذ عام ١٩٩١، حتى عام ٢٠٠٨ (https://www.instagram.com/reel/DWt0pJ9DBvm/).

الاستنتاجات

- اجتمعت العديد من العوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث الانهيار اليوغوسلافي، بعد التدهور الذي شهده الاتحاد طوال مدة الثمانينيات من القرن العشرين، على مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الدور الذي أدته النزعة القومية، والتأثيرات العرقية والدينية التي رافقت ذلك، وانعكاس مجريات تفكك الاتحاد السوفييتي، واختفاء حلف وارسو، بانتهاء الحرب الباردة، وانعدام الحاجة لدور دول عدم الانحياز.
- حدثت المرحلة الأولى من عملية انهيار الاتحاد اليوغوسلافي في العقد الأخير من القرن العشرين، وتميزت بحدوث خمس حروب أهلية بين مركز الاتحاد المتمثل في صربيا، والجمهوريات المكونة للاتحاد اليوغوسلافي، وعانى خلالها سكان الاتحاد اليوغوسلافي من العنف وسفك الدماء والتهجير القسري؛ من خلال استخدام القوة العسكرية، وتدهور الأوضاع الإنسانية ووقوع العديد من الفظائع التي لم يشهدها العالم منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩–١٩٤٥، وما رافقها من دمار وتخريب وموجات نزوح سكانية أصبت من اشد أزمات النزوح آنذاك.
- تميزت الحروب الأهلية في المرحلة الأولى من الانهيار اليوغوسلافي بوقوعها بين بلغراد وعواصم الجمهوريات الأخرى المكونة للاتحاد اليوغوسلافي، بعد استخدام القوات العسكرية للتصدي لعمليات الاستقلال التي بادرت بها بعض الجمهوريات اليوغوسلافية، وتزايد الضغط عليها عندما أعلنت الاستقلال النهائي عن الاتحاد اليوغوسلافي، فضلاً عن استعمال الميليشيات المرافقة لها في القتل والترويع والقيام بالإبادة الجماعية والعديد من الفظائع من قتل واغتصاب وتهجير التي حدثت في العديد من المدن في الجمهوريات اليوغوسلافية.
- استمر الجزء الأول من الانهيار اليوغوسلافي في مرحلته الأولى من عام ١٩٩١، حتى عام ١٩٩٥، واشتمل ذلك على الحرب بين كل من صربيا وكرواتيا وصربيا وسلوفينيا وصربيا والبوسنة والهرسك، فضلاً عن الأحداث الدموية التي وقعت بين كرواتيا والبوسنة؛ بسبب وضع بعض الأقليات التابعة لهذا الطرف أو ذلك.
- انفردت مقدونيا بشكل واضح ولم تدخل في حرب مباشرة وحصلت على الاستقلال بتضحيات ضئيلة، ومن ثم تم إيقاف القتال وتوقيع اتفاقية دايتون عام ١٩٩٥.
- ابتدأ الجزء الثاني من المرحلة الأولى للانهيار اليوغوسلافي بتجدد الأحداث في كوسوفو خلال عامي ١٩٩٨ و ١٩٩٩، واضطرار المجتمع الدولي لاستخدام القوة لإيقاف تلك الحرب، وبالفعل تدخلت القوى الغربية واستخدمت القوة لإنهاء ذلك الصراع، واتخذت منظمة الأمم المتحدة دورها في الحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة وانتهت الحروب.
- برزت محاولة كبيرة لإنهاء دور سلوبودان ميلوسيفيتش، في نهاية القرن العشرين، وتمت الإطاحة به عام ٢٠٠٠، من خلال ثورة شعبية، وقدم لمحاكمة دولية.
- وقعت المرحلة الثانية من الانهيار اليوغوسلافي في العقد الأول من القرن العشرين، وتميزت بالتفكك النهائي لما تبقى من الاتحاد اليوغوسلافي، على الرغم من السعي الحثيث والعمل على الحفاظ لما تبقى.
- تمكن الجبل الأسود من الخروج من الاتحاد وإعلان استقلاله التام عام ٢٠٠٦، وبعد ذلك تم الإعلان عن استقلال كوسوفو، في عام ٢٠٠٨، بموافقة دولية واسعة على الرغم من اعتراض صربيا، والتي عدت الحلقة الأخيرة من الاتحاد اليوغوسلافي، وبذلك انتهى وجود الاتحاد اليوغوسلافي بصورة نهائية ولن يمكنه العودة مرة أخرى.

قائمة المصادر:

أولاً: الوثائق المنشورة

١ـ قرارات مجلس الأمن الدولي

1-S/RES/740 (1992), United Nations Security Council, 7 February 1992.
2-S/RES/753 (1992), United Nations Security Council, 25 February 1992.
3-S/RES/754 (1992), United Nations Security Council, 18 May 1992.
4-S/RES/755 (1992), United Nations Security Council, 20 May 1992.
5-S/RES/757 (1992), United Nations Security Council, 30 May 1992.
6-S/RES/760 (1992), United Nations Security Council, 18 June 1992.
7-S/RES/795 (1992), United Nations Security Council, 11 January 1992.
8-S/RES/836 (1993), United Nations Security Council, 4 June 1993.

ثانياً: الكتب الإنكليزية

1-Fend, Walter J., Yugoslavia: A Short Tale of Competition and Cooperation, the Yugoslav Example: Violence, War and Difficult Ways towards Peace, Ed. Bettina Gruber, Waxmann Verlag GmbH, n. d.

2-Magaš, Branka, The Destruction of Yugoslavia: Tracking the Break-up 1980-1992, Ed1, Publisher Verso, Washington, 1993.
3-Paris, Roland, At War's End: Building Peace after Civil Conflict, Cambridge University Press, Cambridge, 2004.
4-POPOVIĆ, Dragoljub, THE PUZZLE OF YUGOSLAVIA, Faculty of Law University of Belgrade, 2020.

ثالثاً: البحوث الإنكليزية

1-Asaturov, Sergey & Martynov, Andrei, THE RESURGENCE OF NATIONALISM: THE BREAKUP OF YUGOSLAVIA, «EUREKA: Social and Humanities» No. 5, 2020.

2-Baranovsky, Vladimir, New Threat Perceptions: The case of the former Soviet bloc and Yugoslavia, Institute of World Economy and International Relations, Afers Internacionals, No. 27, Moscow, n. d.
3-Bombelles, Joseph T., Federal Aid to the Less Developed Areas of Yugoslavia, East European Politics and Societies, Vol. 5, No. 3, 1991.
4-Bruno, Romi, Estado de Excepción: Una mirada a Yugoslavia y la questión del Kosovo, V Congreso Latinoamericano de Ciencia Política, Asociación Latinoamericana de Ciencia Política (ALACIP), Buenos Aires, 28 a 30 Julio 2010.
5-Chossudovsky, Michel, Dismantling Former Yugoslavia, Recolonizing Bosnia, Capital & Class No 62, at PENNSYLVANIA STATE UNIV on September 12, 2016.
6-Crețu, Beatrice, Propaganda in Favour of Humanitarian Interventions as War Propaganda: The Case of the Yugoslav Wars, Propaganda and Manipulation in History. An Interdisciplinary Approach, RJHIS 4 (3), UNIVERSITATEA DIN BUCURESTI, 2017.
7-Dyrstad, Karin, After ethnic civil war: Ethno-nationalism in the Western Balkans, Journal of Peace Research, Vol. 49, No. 6, 2012.
8-Ginieczki, Taylor, Constructions of Identity and War: A Reciprocal Relationship in Former Yugoslavia, Oregon Undergraduate Research Journal, Vol. 17, No 1, Spring 2020.
9-Jovanović, srđan M., The RelaTionship BeTween seRBia and Russia in The posT-Yugoslav eRa: poliTical, economic and secuRiTY dimensions, STUdia środKoWoEUroPEJSKiE i BałKaniSTYCZnE, 30, 2023.
10-KOTSOVILIS, SPYRIDON, Exploring the Sources of Greek Foreign Policy Towards the Former Yugoslav Republic of Macedonia, Conference on Modern Greece, Hellenic Observatory, London School of Economics and Political Science, June 10, 2005.

11-Mirescu, Alexander, "Religion and Ethnic Identity Formation in the Former Yugoslavia", Occasional Papers on Religion in Eastern Europe: Vol. 23, No. 1, Article 2, George Fox University, 2003.
12-NEUMANN, Martin, Securizitating the Nation: Simulating the Dynamics at the Case of Yugoslavia, ROMANIAN JOURNAL OF INFORMATION SCIENCE AND TECHNOLOGY, Vol. 16, No. 2–3, 2013.
13-NOGUEIRA, João Pontes, A Gurra do Kosovo e a Desintegração do Lugoslávia: Notas sobre a (re) construçáo do Estado no fim do milênio, Revista Brasileira do Ciências Sociais, Vol. 15, No. 44, São Paulo Out. 2000.
14-Obradović, Žarko V., POSITION OF MINORITIES IN YUGOSLAVIA, Sociological Review, vol. 52, No. 4, 2018.
15-Peric, Tatjana, On Being Agents of God's Peace: Relationship and Roles of the On Being Agents of God's Peace: Relationship and Roles of the Roman Catholic Church in Croatia and the Serbian Orthodox Roman Catholic Church in Croatia and the Serbian Orthodox Church in Ethnic Conflicts in Former Yugoslavia, Occasional Papers on Religion in Eastern Europe, Vol. 18, No. 1, 1998.
16-Peskin, Victor, Beyond Victor's Justice? The Challenge of Prosecuting the Winners at the International Criminal Tribunals for the Former Yugoslavia and Rwanda, Journal of Human Rights, Vol. 4, No. 2, 2005.
17-PROROKOVIĆ, Dušan & KRGA, Branko, THE CAUSES OF THE NATO AGGRESSION ON THE FR YUGOSLAVIA, n. d.
18-Radović, Srđan, Channeling the Country’s Image: Illustrated Magazine Yugoslavia (1949–1959), Institute of Ethnography SASA, No. 13, Belgrade, Serbia, 2017.
19-Ritter, Daniel P., Nationalism and Transitions: Mobilizing for Democracy in Yugoslavia, COSMOS-Centre on social movement studies Mobilizing for Democracy-ERC Project Department of political and social sciences European University Institute, Florence, 2012.
20-Rombouts, Stijn, The role of the Yugoslav Communist Party leading up to the dissolution of Yugoslavia, University Tilburg University, 4 August, 2022.
21-UHER, Ana & IRA, Vladimír, LIFE-PATHS OF SERBS IN THE CONTEXT OF CONFLICTS IN FORMER YUGOSLAVIA, Folia Geographica, Vol. 61, No. 2, 2019.

رابعاً: المواقع الإلكترونية

1-https://www.instagram.com/reel/DWt0pJ9DBvm/